وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى
المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن
الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم
قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين
من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون من الفواحش فانجيناه
اي من آمن به الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين
بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط
ابن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم
الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل
خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا
اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن (يشجر بن) مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن
مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين
وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا على
يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته
فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله
والميزان كما قال في سورة هود او الكيل والوزن للميزان ويجوز ان يكون مصدرا كالميعاد
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم
كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه و
تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء و
بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية
وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين
كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا

احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن
سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم
ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول
ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون وما عطف
عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء
الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم
بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم
وان كان طائفة (منكم) آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا
حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين
اما اخراجكم من القرية او عودكم الى الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر
لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال او
لو كنا كارهين كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف
دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من
الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان
ما كنا عليه باطل وان ما كنتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي
احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من
الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة
او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير
الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد
جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة

Copyright King Saud University